أنوار السُّنَّة المُحمديَّة
شرح رياض الصالحين (١٠)
باب الصبر (٥)

الشيخ أحمد السيد.

عطاء
البناء المنهجي

الفهرس

المُقدِّمة: ٣
تكملة الحديث: "...فمَن يَعْدِلُ إنْ لَمْ يَعْدِلِ اللَّهُ وَرَسولُهُ..." ٣
الحديث الأول: "إذا أرادَ اللَّهُ بعبدِهِ الخيرَ عجَّلَ لهُ العقوبةَ في الدُّنيا..." ٧
فوائد الحديث: ٨
الحديث الثاني: "...فَجَعَلَها في فِي الصَّبِيِّ ثُمَّ حَنَّكَهُ، وَسَمّاهُ عَبْدَ اللَّهِ..." ٩
فوائد الحديث: ١٠
مدى أهمية حضور المرأة في السياقات الإسلامية: ١٢
الحديث التالي: "...إِنِّي لأعلَمُ كَلِمةً لَوْ قَالَهَا لَذَهَبَ عنْهُ مَا يجِدُ..." ١٣
فوائد الحديث: ١٣
مدى ارتباط الشيطان وأذاه بالإنسان: ١٣
الحديث التالي: "...مَنْ كظَمَ غَيظاً، وهُو قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْفِذَهُ..." ١٤
فوائد الحديث: ١٤
كظم الغيظ وترك الغضب: ١٤

المُقدِّمة:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، كما يُحب ربنا تبارك وتعالىٰ ويرضى.

الحمد لله كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، اللهم لك الحمد في الأولىٰ والآخرة، ولك الحُكم وإليك المصير.

اللهم صلّ على محمدٍ وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميدٌ مجيد، وبارك على محمدٍ وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميدٌ مجيد.

أما بعد:

نستعين بالله، ونستفتح درسًا جديدًا من دروس الاستهداء بالسُنَّة النبوية من: (أنوار السنة المُحمديَّة)، وذلك في تدارس بعض أحاديث رياض الصالحين، وهذا هو الدرس العاشر من هذه السلسلة، التي نسأل الله أن يُتمها على خير.

لا يزال الحديث عن باب الصبر، -وكما سلف وتقدَّم في أكثر من مجلس- باب الصبر هو من أبواب الدين العظمى، التي ينبغي التفقُّه فيها ودراستها والعناية بها، وتذاكر ما جاء فيها من كتاب الله ومن سُنَّة رسول الله ﷺ، وأنّ هذا من أولى أبواب العلم التي تُدرس.

تكملة الحديث: "...فمَن يَعْدِلُ إنْ لَمْ يَعْدِلِ اللَّهُ وَرَسولُهُ..."

وقفنا عند حديث: عن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه أنه قال: لَمّا كانَ يَوْمُ حُنَيْنٍ ، آثَرَ رَسولُ اللهِ ﷺ ناسًا في القِسْمَةِ؛ فأعْطى الأقْرَعَ بنَ حابِسٍ مِائَةً مِنَ الإبِلِ، وَأَعْطى عُيَيْنَةَ مِثْلَ ذلكَ، وَأَعْطى أُناسًا مِن أَشْرافِ العَرَبِ، وَآثَرَهُمْ يومَئذٍ في القِسْمَةِ، فَقالَ رَجُلٌ: واللَّهِ إنَّ هذِه لَقِسْمَةٌ ما عُدِلَ فِيهَا، وَما أُرِيدَ فِيها وَجْهُ اللهِ، قالَ: فَقُلتُ: واللَّهِ، لأُخْبِرَنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ، قالَ: فأتَيْتُهُ فأخْبَرْتُهُ بما قالَ، قالَ: فَتَغَيَّرَ وَجْهُهُ حتّى كانَ كالصِّرْفِ، ثُمَّ قالَ: "فمَن يَعْدِلُ إنْ لَمْ يَعْدِلِ

اللَّهُ وَرَسولُهُ"، قالَ: ثُمَّ قالَ: "يَرْحَمُ اللَّهُ مُوسى، قدْ أُوذِيَ بأَكْثَرَ مِن هذا فَصَبَرَ"، قالَ: قُلتُ: لا جَرَمَ لا أَرْفَعُ إلَيْهِ بَعْدَها حَدِيثًا." [صحيح • أخرجه مسلم والبخاري(باختلاف يسير)]

قوله: **كالصِّرف** -وهو بكسر الصّاد المهمَلة- هو: **صبغٌ أحمر**.

هذا الحديث أخرجه النووي رحمه الله في باب الصبر، وفيه بيان صبر النبيّيْن، اللَّذين كثيرًا ما جمع الله بينهما في القرآن: موسىٰ ومحمد ﷺ، بل لم يُقرن نبيٌّ بنبيّ الله محمد ﷺ في القرآن كما قُرن به موسىٰ، وذلك في سورٍ كثيرة، ومن يتتبع سيجد هذه الحقيقة، فكثيرًا ما يُذكر موسىٰ عليه السلام مع النبي محمد ﷺ ، هذا غير السور التي بها قصص الأنبياء المتعددة، أيضًا الجمع بين الكتابين، مثلًا: تأمّلوا في سورة القصص: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَىٰ ۚ أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۖ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلٍّ كَافِرُونَ (٤٨) قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِندِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٤٩)﴾ [القصص: ٤٨-٤٩] إلى آخر الآيات، وكذلك في سورة المزمل: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا (١٥) فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا (١٦)﴾ [المزمل: ١٥-١٦] وكذلك في سورة الدخان...إلى آخره، فتتبُّع هذه المواضع مهم على أية حال.

هنا يستحضر النبي ﷺ موسى عليه السلام، الذي أوذي بأكثر من هذا فصبر، ومن الواضح أن النبي ﷺ يقصد بالأذى التي تعرَّض له موسى الأذى التي تعرَّض له على أيدي بني إسرائيل، وليس الأذى الذي تعرض له على يد فرعون وقومه؛ لأنّ هذا البلاء أو هذا الأذى الذي أوذي به النبي ﷺ -الذي ورد في هذا الحديث- هو أشبه بالأذى الذي أوذي به موسى عليه السلام من قومه؛ لأنّ هذا أذى من أحد الأتباع، وليس أذىً من الأعداء، وكذلك موسى عليه السلام أوذي كثيرًا من الأتباع من بني إسرائيل، والقصص في ذلك والأحداث كثيرة، وبالمناسبة قد جمع الله بين نبي الله موسى وبين نبي الله ﷺ في قضية الأذى تحديدًا في آية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا ۚ وَكَانَ عِندَ اللَّهِ وَجِيهًا (٦٩)﴾ [الأحزاب: ٦٩]، والمقصود محمد ﷺ؛ لأنها نفس السورة التي فيها: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَٰكِنْ إِذَا

دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنكُمْ ۖ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ﴾، وفيها أيضًا: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ (٥٣)﴾ [الأحزاب: ٥٣]، ثم بعدها بموضعٍ يسير قال سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا ۚ وَكَانَ عِندَ اللَّهِ وَجِيهًا (٦٩)﴾ [الأحزاب: ٦٩]، وليس بالضرورة أن يكون مُنحصرًا في هذه الآية، فالآية عامة لكن هذه من المناسبات.

على أية حال، أوذي موسى عليه السلام من قومه، وعانى منهم معاناةً شديدةً جدًا، ومن اللّطائف المرتبطة بالجمع بين النبيّين محمد وموسى عليهما صلوات الله وسلامه –فيما يتعلق كذلك بالناس والمعرفة بهم– ما حدث في حادثة المعراج، لما أُمر النبي ﷺ بخمسين صلاة، فكان موسى عليه السلام هو الذي يقول للنبي ﷺ: ارجع إلى ربك فليُخفّف عنك، ثم قال النص المهم المفيد لكلّ المصلحين المتبعين للأنبياء والرسل، قال: "أنا أعلمُ بالناس منك"، موسى عليه السلام يقول لمحمد ﷺ –كما في البخاري–: "أنا أعلمُ بالناس منك، لقد عالجتُ بني إسرائيل أشدّ المعالجة، وإنّ أُمتك لا تطيقُ ذلك"، هذا ومعروف أنّ النبي ﷺ كان لا يزال في بداية البعثة قبل الهجرة، وموسى عليه السلام كان بعدما انتهت الرسالة، وموسى عليه السلام عانى من بني إسرائيل معاناةً شديدةً جدًا، فيقول لمحمد ﷺ: "أنا أعلمُ بالناس منك، لقد عالجتُ بني إسرائيل أشدّ المعالجة، وإنّ أُمتك لا تطيقُ ذلك"

فلاحظوا الارتباط الدائم بين موسى ومحمد ﷺ، وكذلك الارتباط بين التوراة والقرآن قال الله سبحانه وتعالى في سورة الأنبياء: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ (٤٨) الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُم مِّنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ (٤٩) وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَاهُ ۚ أَفَأَنتُمْ لَهُ مُنكِرُونَ (٥٠)﴾ [الأنبياء: ٤٨–٥٠]، وكذلك في سورة القصص: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَىٰ ۚ أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۖ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلٍّ كَافِرُونَ (٤٨)﴾ [القصص: ٤٨] إلى آخره.

الشاهد أنّ موسى عليه السلام أُوذي من أتباعه وقومه كما أُوذي من فرعون وملائه، والنبي ﷺ عانى من هاذين النوعين، على أنه لم يُعاني من النوع الثاني إلّا قليلًا جدًا، فإنّ عامة أتباع النبي ﷺ

كانوا معه وحوله، وأنصارًا له ومعينين له، غير أنّه وجد مثل هذا النموذج المذكور في الحديث، وهو نموذج شاذ في سيرة النبي ﷺ، وهذه نعمة، لكن أبى الله سبحانه وتعالى إلّا أن يرفع نبيّه بأنواع الابتلاءات وأنواع الشدائد التي منها هذا النوع، وهو نوعٌ شديدٌ جدًا؛ ولذلك ترون هنا تغيَّر وجه النبي ﷺ حتى صار كالصِّرف ﷺ.

في هذا الحديث نحن نود أن نتتبع بوصلة الهدى النبويّ، النبيُّ ﷺ أعطى الأقرع بن حابس مائةً من الإبل، تعلمون ما معنى مائةً من الإبل؟ إذا كانت في ميزان اليوم بعد السيارات والدنيا، مائةُ من الإبل هذه قصة طويلة عريضة ولها قيمتها الكبيرة جدًا، فما بالُكُم حين كانت الإبل هي الوحيدة؟ يعني كانت مائةٌ من الإبل شيءٌ عظيم وكبير جدًا، وتعلمون فهي كانت تُساوي ديَّة الإنسان أصلًا، ويعطيها النبي ﷺ من؟ الأقرع بن حابس، وعيينة بن حصن، وهما ممن طُلب في إعطائهما هذا أن يُتألّف قلوبهما للإسلام.

فليس لبلائهما، ولا لنكايتهما، ولا لقوتهما، ولا لصبرهما، ولا لغنائهما، وإنّما فقط تأليفٌ للقلوب؛ أيْ لأنّهما على عكس ذلك، والنبيّ ﷺ واجه في هذه الحادثة مصاعب، فالنبيُّ ﷺ لما أعطى المؤلَّفة قلوبهم ليس فقط هذان، وإنّما أعطى النبيُّ ﷺ حتى من سادة قريش، وفي صحيح مسلم: "أَعْطى رَسولُ اللهِ ﷺ أَبا سُفْيانَ بنَ حَرْبٍ، وَصَفْوانَ بنَ أُمَيَّةَ، وَعُيَيْنَةَ بنَ حِصْنٍ، والأقْرَعَ بنَ حابِسٍ، كُلَّ إنْسانٍ منهمْ مِائَةً مِنَ الإبِلِ، وَأَعْطى عَبّاسَ بنَ مِرْداسٍ دُونَ ذلكَ، فَقالَ عَبّاسُ بنُ مِرْداسٍ: أَتَجْعَلُ نَهْبِي وَنَهْبَ العُبَيْدِ بيْنَ عُيَيْنَةَ والأقْرَعِ، فَما كانَ بَدْرٌ وَلا حابِسٌ يَفُوقانِ مِرْداسَ في المجْمَعِ، وَما كُنْتُ دُونَ امْرِئٍ منهما، وَمَن تَخْفِضِ اليومَ لا يُرْفَعِ، قالَ: فأتَمَّ له رَسولُ اللهِ ﷺ مِائَةً" [مسلم: صحيح].

هذا هو عيينة بن حصن والأقرع بن حابس، فالثالث هذا عَبّاسَ بنَ مِرْداسٍ، فهو أيضًا من أشراف العرب، ومن وجوه الناس الذين لهم مكانة؛ فغضب لأنّ النبي ﷺ أعطى الأقرع بن حابس وعُيينة بن حصن كل واحدٍ مائة ومائة ولم يُعطه، هذا عيينة بن حصن هو عيينة بن بدر أصلًا، والثاني الذي هو الأقرع بن حابس، فهذا العَبّاسَ بنَ مِرْداسٍ يقول للنبي ﷺ: "أَتَجْعَلُ نَهْبِي وَنَهْبَ العُبَيْدِ -العبيد اسم فرسه- بيْنَ عُيَيْنَةَ والأقْرَعِ، فَما كانَ بَدْرٌ -أبو عُيينة- وَلا حابِسٌ -أبو الأقرع- يَفُوقانِ مِرْداسَ في

المجْمَعِ، وَما كُنْتُ دُونَ امْرِئٍ منهما، وَمَن تَخْفِضِ اليومَ لا يُرْفَعِ" ولاحظ هنا يوجد غضب من هذه الجهة، ومن جهة أخرى القصة المعروفة للأنصار الذين عتبوا أو وقع في نفوسهم ما وقع ، وكانوا مؤدبين ومحترمين ومراعين لحدود الألفاظ مع النبي ﷺ، لم يكن بحجم ما يُتوقع من الإنسان الذي هو في مثل هذه الحادثة، يعني لو تحدث حادثة مُقاربة في مثل هذا الزمن!! يصير: أُعلن انشقاقي عن ...!!، لكنّ الأنصار وجدوا في نفوسهم، وقالوا: يا رسول الله، يعني أعطيت هؤلاء وتركتنا، وسيوفنا تقطُر من دمائهم! يعني هؤلاء هم أصلًا كانوا من الكفار المقاتلين، فنحن قاتلناهم، وسيوفنا لا تزال فيها دماؤهم، وعندما جاءت الغنائم أعطيتهم وتركتنا! فخطب بهم النبيّ ﷺ الخطبة المشهورة التي قال فيها: "أما ترضَون أن يذهبَ الناسُ بالشّاءِ والبعيرِ وتَذهبون برسولِ اللهِ ﷺ إلى دِيارِكم؟ قالوا: بلى، قال: الأنصارُ كِرشي وعَيْبَتي، لو سلك الناسُ واديًا وسلكت الأنصارُ شِعبًا لسلكتُ شِعبَهم، ولولا الهجرةُ لكنتُ امرءً من الأنصار، وقال قال حماد: أعطى مائةً من الإبلِ، فسمَّى كلَّ واحدٍ من هؤلاء" [مسلم: على شرط]، مباشرةً بكوا كلهم، سكتوا وبكوا، تصير هذه أحيانًا، يعني مشاعر معينة لا ينتبه لها الإنسان، تغيب عنه أحيانًا المعايير الكبرى، وتحت ضغط المشاعر نوعًا ما قد يقول شيئًا أو يتكلم بشيء أو يجد في نفسه شيء، والفوائد والعبر من هذا الحديث كثيرة جدًا.

الحديث الأول: "إذا أرادَ اللَّهُ بعبدِهِ الخيرَ عجَّلَ لهُ العقوبةَ في الدُّنيا..."

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "إذا أرادَ اللَّهُ بعبدِهِ الخيرَ عجَّلَ لهُ العقوبةَ في الدُّنيا، وإذا أرادَ بعبدِهِ الشَّرَّ أمسَكَ عنهُ بذنبِهِ، حتّى يوافى بهِ يومَ القيامةِ" [أخرجه الترمذي: واللفظ له].

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: وقال النبي ﷺ: "إنَّ عِظَمَ الجزاءِ مع عِظَمِ البلاءِ، وإنَّ اللهَ إذا أحبَّ قومًا ابتلاهم، فمن رضِيَ فله الرِّضا، ومَن سخِط فله السَّخطُ" [رواه الترمذي: حسن].

هذا يمكن أول حديث يمُرُّ علينا خارج الصحيحين، كان أول حديث الحديث الثالث والأربعين، لا أتذكر الآن إن كان مرّ علينا حديث آخر أم لا! لكن أظنه أول حديث، وحقيقةً (رياض الصالحين) من القيم التي في هذا الكتاب أنّ كثيرًا من أحاديث الكتاب –إن لم تكن عامة أحاديث الكتاب– من

الصحيحين، أو من أحدهما، وهذه قيمة في الكتاب، والكتاب له قيمة كبيرة جدًا في ترتيبه، في اختيار أحاديثه، في موضوعاته، ولكن لا يخلو الكتاب من أحاديث فيها شيء من الضعف اليسير، وقد يكون أشد من ذلك في بعض الأحاديث.

هذا الحديث من حيث إسناده فيه شيءٌ من اللين، فيه شيءٌ من الضعف، وهذا لا يتعارض مع قول الترمذي حديثٌ حسن؛ لأنّ حسن عند الترمذي لا تعني التحسين الاصطلاحي: المراد به ما اتصل إسناده برواية العدل الذي خفَّ ضبطه عن مثله من غير شذوذ ولا علة، وهذا مع الأسف يغيب عن كثيرٍ من النّاس التي تتعامل مع أحكام الترمذي، فإذا وجد مثلاً راويًا ضعيفًا، أو وجد من يُضعِّف الحديث، أي حديث عمومًا –خاصةً من المتقدمين–، فقد يجد مثلًا: عبارةً للإمام أحمد يقول: هذا حديث ضعيف، ثم يجد الترمذي قال: حديث حسن، فيقول اختلف العلماء في صحة هذا الحديث، فضّعفه الإمام أحمد، وحسّنه الترمذي، وفي الحقيقة "**حسّنه**" لا تتعارض مع "**ضعيف**"، وبسط هذا الكلام في غير هذا الموضع، فالإنسان تكلم عن هذه القضية في مواضع بشكل مفصَّل في الشرح المطوّل عن نزهة النظر وغيره؛ لكن هي مهمة لأنّ الترمذي له أحكام كثيرة، وفي مواضع يقول الترمذي: "**هذا حديث حسن، وليس إسناده بمتصل**" هكذا في نفس الجملة، وهذه قضية واضحة عمومًا.

فوائد الحديث:

على أية حال، الحديث هذا: "إذا أرادَ اللَّهُ بعبدِهِ الخيرَ عجَّلَ لهُ العقوبةَ في الدُّنيا، وإذا أرادَ بعبدِهِ الشَّرَّ أمسَكَ عنهُ بذنبِهِ حتّى يوافى بهِ يومَ القيامةِ"، فهذه الجملة توافق المعنى الذي ذُكر –أظن– في الدرس السابق، أن من يريد الله به خير يُصب منه، يعني إذا أراد الله بعبده الخير عجّل له العقوبة في الدنيا، "إذا أراد الله بعبده الخير" هذه توافق "من يريد الله به خيرًا"، "عجله العقوبة في الدنيا" توافق إلى حدٍ ما "يُصب منه" ، ولو من بعض الجهات ومن بعض المعاني، وإن كان تعجيل العقوبة تامةً في الدنيا لا يُطيقها الإنسان؛ لأنه قد ورد في الحديث أيضًا في الصحيح، لما زار النبي ﷺ رجلِا فرآه في حال شديدة جدًا من الناحية الصحيَّة، فسأله النبي ﷺ فقال: "أنّي كنت أدعو: اللهم ما أردت بي من عقوبة في الآخرة فعجّلها لي في الدنيا" فنهاه النبي ﷺ عن ذلك، فهُنا يُقال: دعنا نقول أولًا

اللفظ الأصح: "من يُرد الله به خيرًا يُصب منه"، أن يصاب الإنسان بالابتلاءات وبالأمراض الشدائد، هذا هو الأمر المحكم، وأمّا عجّل له العقوبة في الدنيا فأولًا: من حيث الثبوت: فيها شيء من الضعف.

أو يُقال: عجّل له العقوبة في الدنيا، أي: عجّل له من عقوبته في الدنيا، أو عجَّل له ما برحمته سبحانه وتعالىٰ يُسقط عنه بها عقوبة الآخرة، وإن لم تكُن موافية للعقوبة أصلًا المستحقَّة في الآخرة. هذه وجوه يمكن التعامل معها.

وكذلك الجملة الأخرى: **"إنّ عظم الجزاء من عظم البلاء، وأنّ الله إذا أحب قومًا ابتلاهم ..."** هذه يوازيها جملة صحيحة أخرجها الإمام أحمد وأبو داوود وغيرهما من حديث عاصم بن مُصعب بن سعد عن أبيه سعدٍ بن الوقاص رضي الله عنه، وإسنادهُ صحيح: "عن مصعب بن سعد عن سَعدِ بنِ أبي وقّاصٍ قالَ: قلتُ: يا رسولَ اللهِ، أيُّ النّاسِ أشدُّ بلاءً؟ قالَ: الأَنبياءُ، ثمَّ الأمثلُ فالأمثلُ، يُبتَلى الرَّجلُ على حَسبِ دينِهِ.. حتّى يَمشيَ على الأرضِ وما علَيهِ خطيئةٌ" فهذه الجملة أصح من هذه، وهي مُحكمة ومفيدة وعظيمة.

الحديث الثاني: "...فَجَعَلَها في فِي الصَّبِيِّ ثُمَّ حَنَّكَهُ، وَسَمّاهُ عَبْدَ اللَّهِ..."

عن أنسٍ رضي الله عنه قال: كانَ ابْنٌ لأَبِي طَلْحَةَ يَشْتَكِي، فَخَرَجَ أَبُو طَلحَةَ، فَقُبِضَ الصَّبِيُّ، فَلَمّا رَجَعَ أَبُو طَلْحَةَ قالَ: ما فَعَلَ ابْنِي؟ قالَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ: هو أَسْكَنُ ممّا كانَ، فَقَرَّبَتْ إلَيْهِ العَشاءَ فَتَعَشّى، ثُمَّ أَصابَ منها، فَلَمّا فَرَغَ قالَتْ: وارُوا الصَّبِيَّ، فَلَمّا أَصْبَحَ أَبُو طَلْحَةَ أَتى رَسولَ اللهِ ﷺ فأخْبَرَهُ، فَقالَ: أَعْرَسْتُمُ اللَّيْلَةَ؟ قالَ: نَعَمْ، قالَ: اللَّهُمَّ بارِكْ لهما، فَوَلَدَتْ غُلامًا، فَقالَ لي أَبُو طَلْحَةَ: احْمِلْهُ حتّى تَأْتِيَ به النبيَّ ﷺ، فأتى به النبيَّ ﷺ، وَبَعَثَتْ معهُ بتَمَراتٍ، فأخَذَهُ النبيُّ ﷺ فَقالَ: أَمعهُ شيءٌ؟ قالوا: نَعَمْ، تَمَراتٌ، فأخَذَها النبيُّ ﷺ فَمَضَغَها، ثُمَّ أَخَذَها مِن فِيهِ، فَجَعَلَها في فِي الصَّبِيِّ ثُمَّ حَنَّكَهُ، وَسَمّاهُ عَبْدَ اللَّهِ. [متفقٌ عليه].

وفى رواية أخرىٰ للبخاري: قال ابن عيينة: فقال: رجلٌ من الأنصار : فرأيت تسعة أولاد، كلهم قد قرؤوا القرآن، يعنى من أولاد عبد الله المولود.

وفى رواية لمسلم: مات ابن لأبي طلحة بن أم سليم، فقالت لأهلها: لا تُحدثوا أبا طلحة بابنه حتى أكون أنا أحدُّثه، فجاء فقربت إليه عشاءً، فأكل وشرب، ثم تصنَّعت له أحسن ما كانت تصنع قبل ذلك، فوقع بها، فلما أن رأت أنه قد شبع وأصاب منها قالت: يا أبا طلحة، أرأيت لو أن قوماً أعاروا عاريتهم أهل بيت فطلبوا عاريتهم، ألهم أن يمنعوهم؟ قال: لا، فقالت: فاحتسب ابنك، قال: فغضب، ثم قال: تركتني حتى إذا تلطخت أخبرتني بابني؟! فانطلق حتى أتى رسول الله ﷺ فأخبره بما كان ، فقال رسول الله ﷺ: "بارك الله في ليلتكما"، قال: فحملت، قال: وكان رسول الله ﷺ في سفر وهي معه، وكان رسول الله ﷺ إذا أتىٰ المدينة من سفر لا يطرقها طروقاً، فدنوا من المدينة، فضربها المخاض، فاحتبس عليها أبو طلحة، وانطلق رسول الله ﷺ قال: يقول أبو طلحة: إنك لتعلم يا رب أنه يعجبني أن أخرج مع رسول الله ﷺ إذا خرج، وأدخل معه إذا دخل، وقد احتبست بما ترى، تقول أم سليم: يا أبا طلحة ما أجد الذى كنت أجد، انطلق، فانطلقنا، وضربها المخاض حين قدما فولدت غلاماً، فقالت لي أمي: يا أنس لا يرضعه أحد حتى تغدو به على رسول الله ﷺ، فلما أصبح احتملته فانطلقت به إلى رسول الله ﷺ. وذكر تمام الحديث الذي فيه التحنيك.

فوائد الحديث:

هذه واحدة من القصص الموجودة بكثرة في الصحيحين، والصحيحان مليئان بالقصص المفيدة الواقعة في سيرة النبي ﷺ، وهذه واحدة من القصص، وهذا الموقف وهذه القصة فيها فوائد كثيرة، فمن جهة التعجب من حال أم سليم رضي الله تعالى عنها وثباتها وصبرها وقوتها، على أن أباٰ طلحة رضي الله عنه من خيار الصحابة، وعلى أنَّه قويٌّ شديد البأس، وشجاع في القتال، وهو الذي كان يدافع النبي ﷺ أيضًا يوم أُحُد، هو وطلحة أيضًا، وهو الذي كان يقول: يا رسول الله لا ترفع رأسك، لا تُشرف على القوم، نحري دون نحرك، وهو الذي كان يرمي يوم أُحُد وكان شديد النزع، و لما مرّ بالنبي ﷺ رجلٌ ومعه كنانة فيها أسهم، وقد اشتد القتال وحمي الوطيس، واشتدت الأمور قال النبي ﷺ: انثرها لأبي طلحة، يعني هذه الأسهم التي معك أعطيها لأبي طلحة ليرمي، فقد كان راميًا رضي الله عنه، الشاهد فأبو طلحة أبو طلحة، ومع ذلك أُمُ سُليمٍ في هذا الموقف تحديدًا كانت أفضل منه، وكانت أثبت منه، وكانت أصبر منه، رضي الله تعالى عنهم أجمعين، والمعهود في مثل هذه الأحوال أنّ الذي يفقد صبره أو

يكاد هو الأُم وليس الأب بمعنى أنّ الذي يُصبّر المفروض هو الأب وليس الأم، لكن الذي صبّر هنا وثبّت هو الأم، الزوجة، والتصبيرة أيضًا يعني متقدمة فيها أنها حتى استعملت هذا المجاز أو الإقناع العقلي، حيث قالت بالنص: يا أبا طلحة، أرأيت لو أن قوماً أعاروا عاريتهم أهل بيت فطلبوا عاريتهم، ألهم أن يمنعوهم؟، واستعملت مقدمات نفسية، وتصرفت تصرف أدارت المشهد إدارة كاملة، فسبحان الله! وهذا من فضل أم سليم رضي الله تعالى عنها، وكانت امرأة صبورة وقويّة ومن خيار الصحابيات، وكانت تخرج مع النبي ﷺ في أسفاره وفي بعض غزواته، ومن ذلك أنها خرجت معه يوم حُنين كما في صحيح مسلم: عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنَّ أُمَّ سُلَيْمٍ اتَّخَذَتْ يَومَ حُنَيْنٍ خِنْجَرًا، فَكانَ معها، فَرَآها أَبُو طَلْحَةَ، فَقالَ: يا رَسولَ اللهِ، هذِه أُمُّ سُلَيْمٍ معها خِنْجَرٌ، فَقَالَ لَها رَسولُ اللهِ ﷺ: ما هذا الخِنْجَرُ؟ قالَتْ: اتَّخَذْتُهُ إنْ دَنا مِنِّي أَحَدٌ مِنَ المشْرِكِينَ، بَقَرْتُ به بَطْنَهُ، فَجَعَلَ رَسولُ اللهِ ﷺ يَضْحَكُ، قالَتْ: يا رَسولَ اللهِ، اقْتُلْ مَن بَعْدَنا مِنَ الطُّلَقاءِ، انْهَزَمُوا بكَ؟ فَقالَ رَسولُ اللهِ ﷺ: يا أُمَّ سُلَيْمٍ، إنَّ اللَّهَ قدْ كَفى وَأَحْسَنَ" [مسلم: صحيح].

وفي هذه السفرة خرجت مع النبي ﷺ، والعجيب أنها خرجت وهي في الشهر التاسع، وهي خارجة معه مشيًّا، ولا هي على هودج، ولكن أبت إلّا أن تخرج مع النبي ﷺ، ومثل هذه القصص تفيد في الفهم العام لمثل قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ [الأحزاب: ٣٣]، أن القضية فيها لها فقه في سياقاتها وفهم مجموعة ما كان يُطبق في زمن النبي ﷺ، فهو ليس أمرًا عامًا يشمل كل الأحوال، وإن كان من تكون أحوالها كما يُقال: "خرّاجة ولّاجة" يقال لها: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾، وحتى لو ترجح أنها واردة في زوجات النبي ﷺ تُستعمل مثل هذه الآية، لكن هذه الآية ليست لمنع الخروج، ومن الأدلة تتمة الآية ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾، التبرج متى يكون؟ وقت الخروج ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ﴾، فالقضية هي من الطرفين فيها خطأ، فلا يقال أنه لا يُمتدح القرار في البيوت، بل يقال لمن تُكثر الخروج -وخاصة للمصالح الشخصية والاستكثار من الدنيا وما إلى ذلك-: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾، يعني ما الخروج والدخول هذا الكثير؟ ﴿وقرن في بيوتكن﴾، ولا يُقال لمن تخرج لحاجة والمصلحة، ولمن تخرج للعلم ولمن تخرج للدعوة، ولمن تخرج كذا: لا يجوز؛ لأنه ليس فقط من دلالة الآية، وإنما من تطبيق في زمن النبي ﷺ ، فنحن نتكلم عن حديث صحيح؛ وهو خروج أم سليم مع النبي ﷺ

مرارًا، وليس فقط أم سليم وحدها، أم عطية رضي الله تعالى عنها كما في البخاري تقول: خرجت مع النبي ﷺ، وغزوت مع النبي ﷺ، شهدتُ معه ستة أو سبع غزوات، وهذا في البخاري، وكذلك الأحاديث كثيرة عمومًا، فبمجموع هذه النصوص تُفهم الحالة، ولا تقتصر على منعٍ عام، وأيضًا لا يُقال: هي خاصة بزوجات النبي ﷺ خصوصية تمنع من الاستدلال بها على غيرهم، هذه الآن أم سليم رضي الله تعالى كان لها شأن في زمن النبي ﷺ، كانت تخرج وتدخل، وكانت حاضرة في المشهد.

مدى أهمية حضور المرأة في السياقات الإسلامية:

حقيقة هذا أيضًا يفتح لنا باب آخر في مدى أهمية حضور المرأة في السياقات الإسلامية، السياقات الدعوية، والسياقات الإصلاحية، هل تُعزل تمامًا؟ أم تختلط تمامًا؟ أم يكون لها قدر من المشاركة بالقدر الذي لا تتجاوز فيه الحد؟ ولا شك أنه في زمن النبي ﷺ الذين كانوا أحظى به ﷺ هم الرجال، ولذلك جاءت المرأة فقالت -كما في البخاري-: يا رسول الله غلبنا عليك الرجال، فاجعل لنا يومًا من نفسك، فهذا هو الأصل، وفي نفس الوقت في مجموعة المواقف والأحاديث الصحيحة كانت هناك مشاركات واضحة، وكان هناك حضور واضح، ولكنه بحدوده، فهذه قضية تحتاج إلى فقه؛ فما يُبالَغ فيها في المنع، ولا يُبالَغ فيها في التجويز، والتفصيل في هذه القضية له موضع آخر، لكن هذه فقط إشارة.

فالقصد إنه من مجموعة حياة أم سليم سنجد أنها حاضرة، والنبي ﷺ جاء إلى بيتها -في تلك القصة المشهورة في البخاري- لما زارهم النبي ﷺ، ثم صلى بهم في البيت، قال أنس: فقمت الى حصير لنا قد اسودّ من طول ما لُبس فغسلته، ثم وضعته، ثم صلى عليه النبي ﷺ وصففتُ أنا واليتيم وراءه والعجوز من ورائنا... إلى غير ذلك من الأحاديث التي فيها في زمن النبي ﷺ، حتى عن أم سليم: أتت النبي ﷺ تطلب منه الدعاء لأنس -الذي هو ابنها-، وفي هذا الحديث كذلك معية الله للمؤمنين؛ لأنه لما رجعت أم سليم -وكانت على وشك الولادة- ضربها المخاض قبل أن يدخل النبي ﷺ المدينة، النبي ﷺ نهى العائد من السفر عن أن يدخل على أهله مباشرة مفاجأة، وهذا واضح في أحاديث النبي ﷺ، فكان النبي ﷺ يتأخر نوعًا ما قبل الدخول للمدينة حتى يصل الخبر إلى الناس في المدينة، وإلى الأهالي والزوجات حتى ترى الرجال رجعوا والناس رجعوا؛ كيلا يفاجأ، وأيضا ما يكون فيه تتبُّع للناس وكذا

وتصيُّد، يعني الناس تتهيأ وتأخذ أفضل أحوالها، ولا يكون وكأن الانسان يدخل ليتصيَّد شيئًا أو خطأ أو زلَّة أو شيء، لا، يعني يحمل الأمور على الحفظ والستر والصون، فالنبي ﷺ نهى عن أن يطرق الرجل إذا رجع من السفر أهله، فهنا جاء المخاض وضرب أم سليم رضي الله تعالى عنها، فكان احتبس أبو طلحة عندها، وتحرك النبي ﷺ للذهاب إلى المدينة، فمعية الله للمؤمنين في دعاء أبي طلحة –لأنه شيء يعني معنوي– وقال: يا ربي إنك تعلم أنه يعجبني أن أخرج مع رسول الله ﷺ إذا خرج، وأدخل معه إذا دخل، وأني قد احتبست بما ترى، يا ربي قد احتبستُ بما ترى من اشتغالي بمخاض أم سليم، فرفع الله ألم المخاض عن أم سليم، فقالت: لا أجد ما كنت أجد، وراحت تمشي، فلما وصلت للمدينة ولدت.

الحديث التالي: "...إِنِّي لأعلَمُ كَلِمةً لَوْ قَالَهَا لَذَهَبَ عنْهُ مَا يجِدُ..."

عنْ سُلَيْمانَ بْنِ صُرَدٍ قَالَ: كُنْتُ جالِساً مَعَ النَّبِي ﷺ، ورجُلان يتسابَّانِ، وأَحدُهُمَا قَدِ احْمَرَّ وَجْهُهُ، وانْتفَخَتْ أودَاجهُ، فَقَالَ رسولُ اللَّه ﷺ: إِنِّي لأعلَمُ كَلِمةً لَوْ قَالَهَا لَذَهَبَ عنْهُ مَا يجِدُ، لوْ قَالَ: أَعْوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ذَهَبَ منْهُ مَا يجدُ، فقَالُوا لَهُ: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: تعوَّذْ بِاللهِ مِن الشَّيطان الرَّجِيمِ [متفقٌ عَلَيهِ].

فوائد الحديث:

مدى ارتباط الشيطان وأذاه بالإنسان:

هذا الحديث من الأحاديث التي تُبيِّن مدى ارتباط الشيطان وأذاه بالإنسان، حتى إن الأحوال التي قد يظن الإنسان أنها أحوال عادية بشرية لا علاقة ولا مدخل للشيطان فيها، تُبيِّن كثير من الأحاديث أن هناك ارتباطًا، وأن هناك مُدخلًا للشيطان في كثير من أحوال الإنسان بل في صحيح مسلم قال النبي ﷺ: "إِن الشَّيْطَانَ يَحضرُ أَحدَكُم عِند كُلِّ شَيءٍ مِنْ شَأْنِهِ،..."

أو كما قال النبي ﷺ، ومن ذلك الغضب، قد يقول قائل: أنا أغضب بسبب موقف معين، أو بسبب شيء معين، ما علاقة أن يقول الإنسان إذا قال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ذهب عنه ما يجد؟ بلى هناك علاقة، وإذا قال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، فهذا من أسباب ذهاب غضبه، وهناك

أسباب أخرى بلا شك، لكن هذا من جملة الأسباب، فمثل هذا الذي قال فيه النبي ﷺ: لو قال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ذهب عنه ما يجد.

الحديث التالي: "...مَنْ كظَمَ غَيظاً، وهُو قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْفِذَهُ..."

عنْ مُعاذ بْنِ أَنَسٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: "مَنْ كظَمَ غَيظاً، وهُو قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْفِذَهُ، دَعَاهُ اللَّهُ سُبْحانَهُ وتَعالَى عَلَى رُؤُوسِ الْخلائقِ يَوْمَ الْقِيامَةِ حَتَّى يُخَيِّرَهُ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ مَا شَاءَ" [رواه أَبُو داوُدَ، والتِّرْمِذيُّ وَقالَ: حديثٌ حسن].

فوائد الحديث:

كظم الغيظ وترك الغضب:

هذا الحديث أيضًا ليس في البخاري ومسلم، **ومن جهة الإسناد أيضًا فيه شيء من اللين والضعف**، ولكن الحديث هذا فيه فضل من فضائل كظم الغيظ، وكظم الغيظ ورد في كتاب الله سبحانه وتعالى نصًا في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [آل عمران:١٣٣]، فكظم الغيظ من جملة صفات المتقين، ومن صفات المحسنين، فمن التقوى كظم الغيظ، وكظم الغيظ يذكرنا بالحديث التالي الذي رواه البخاري ذكره النووي في باب الصبر كذلك وهو: عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً قال للنبي ﷺ أوصني، قال: لا تغضب، فردد مرارًا، قال: لا تغضب" [رواه البخاري].

ولا تغضب فيه نهي عن التَماس مع أسباب الغضب، وفيه نهي كذلك عن القيام بالأفعال غير المنضبطة الناتجة عن الغضب، وهذا كظم الغيظ وترك الغضب قد يظن الإنسان أنه من جملة فقط صفات الكمال، وأنه ليس من الأمور الأساسية، لكن إذا رجعت إلى كلام الأئمة والحفاظ والعلماء ستجد أن منزلة ترك الغضب في الإسلام منزل كبير جدًا، إلى درجة أن ابن المبارك وإسحاق من راهويه والإمام أحمد بن حنبل رحمهم الله جميعًا –كما ذكر ابن رجب في جامع العلوم والحكم– فسَّروا حُسن

الخلق بترك الغضب، وتعلمون ما ورد في حسن الخلق من الفضائل ومن الأحاديث ومن الأجور، وحين يفسِّرون حسن الخلق بترك الغضب لا يعنون أن حسن الخلق ينحصر في ترك الغضب، من يمارس كلام العلماء يفهم ذلك، لا يقصدون أن حسن الخلق هو فقط ترك الغضب، ولكن حين تقول مثلاً: ما هي الشجاعة؟ فيقول أحدهم: الثبات في القتال -مثلاً-، أو عدم الانهزام أمام الأبطال، هل هذه الصورة الوحيدة للشجاعة؟

كلا، ولكن هذه الصورة تحديدًا حين تُذكر كتعريف للشجاعة فمعناها أنها من أهم ما يدخل في الشجاعة، وكذلك حين يقول الأئمة: **حسن الخلق ترك الغضب**، معناه أن ترك الغضب من أهم ما يدخل في حسن الخلق على الإطلاق، وأنت إذا تأملت ذلك وجدت أن الإنسان لن يظفر حقيقةً بمجامع الأخلاق الحسنة إلا إذا كان تاركًا للغضب، أما إذا كان غضوبًا شديد الغضب، سريع الغضب، لا يملك نفسه عند الغضب، فقل لي بربك متى يكون حسن الخلق؟

إلا أنه ممكن أن يكون صاحب خلق حسن في أحوال الرضا، لكن الشأن في حسن الخلق ليس أن يكون حسن الخلق في أحوال الرضا فقط، وإنما أن يكون في أحوال الرضا وفي أحوال الغضب، وهذا كله لا يعني أن الإنسان لا تفلت منه فلتات، فهذه أمور بشرية عادية، لكن الفكرة هي أن لا يكون من طبع الانسان الدائم المتكرر هو سرعة الغضب وعدم السيطرة على النفس عند الغضب، فهذا لا يجتمع مع حسن الخلق، أما الذي يستطيع أن ينتصر على نفسه عند الغضب فهو على التزامه ببقية الأخلاق أقدر.

هو قلب واحد ونفس واحدة، فهذه النفس من أصعب أحوالها حالات الانفعال، فإذا كان الإنسان قادرًا على السيطرة على نفسه في أحوال الانفعال أو عند أحوال الانفعال فهو على السيطرة على نفسه وقيادة نفسه في غير أحوال الانفعال أولى وأسهل وأجدر أن يقوم بذلك، أما الغضب وشدة الغضب وسرعة الغضب، فهذه مما يُذم به الإنسان، وأنت تتعجب أن الرجل يأتي إلى النبي ﷺ -كما في الحديث الذي ذُكر قبل قليل في البخاري- فيقول: "يا رسول الله، أوصني -قد ينتظر الإنسان وصية بقيام الليل، أو بكثرة الذكر، أو بأي شيء آخر، وهذا قد حصل في أحاديث أخرى لكن هنا يقول:

لا تغضب ﷺ، فردد مرارًا، يعني يقول: أوصني، كأنه يقول: هذه "فلا تغضب" أخذتها، فأعطني غيرها، أو يكون استقلَّها، إما أنه أراد الزيادة أو يكون قد استقلّ هذه، فكأنه يقول: أوصني، يعني أعطني الوصية ذات الشأن، فيُعيد النبي ﷺ ولا يزيد: لا تغضب، لا تغضب، لا تغضب، وهذا محمد ﷺ يقول هذا الكلام معناه أن هذا مما جاء به النبي ﷺ، هذا من الرسالة، هذا من الدين، هذا من الوحي، هذا مما ينبغي أن يكون عليه المؤمنون، هذا مما يُوصى به المؤمنون؛ لا تغضب، ومثل هذا وإن كان الغضب هو أكثر شعور الذي يعني يُفقد الإنسان عقله، والسيطرة على نفسه، لكن يعني يكون قريباً من هذا أي شعور آخر يمكن أن يُفقد الإنسان يعني عقله ويجعله يطيش، والغضب هذا قد ورد في حديث آخر: "لا يقضين حكم بين اثنين وهو غضبان".

على أية حال كظم الغيظ يختلف، هو يرتبط بالغضب، لأن الإنسان إذا اغتاظ غضب، والغيظ فيه صورة من صور الاشتراك مع الغضب، كظم الغيظ فيه مختلف نوعًا ما عن "لا تغضب"، ألا تغضب قد تعني أول ما تعني أن لا تدخل في أسباب الغضب، ليس فقط "لا تغضب" تعني "لا تنفعل"، وإنما "لا تغضب" تجنب الأسباب أيضًا التي توصلك إلى الغضب، أنت تعرف أن هذا الطريق، هذا النقاش سيجعلك تغضب لا تناقش، ليس فقط تغضب لا تناقش أصلاً لا تغضب، يعني لا تتخذ السبب الذي ستعلم أنه سيغضبك، فإذا سلكت سبيلًا فيه هذا السبب فلا تغضب، وإذا غضبت فلا تفقد عقلك وحاول أن تتخلص من هذا الغضب.

أنا اختم بهذه القضية، **كظم الغيظ من العبادات العظيمة الشريفة، والتي ينبغي أن يعوّد الإنسان نفسه عليها**، فالعبادات وجوه كثيرة، ومن أفضل الأمور عند الله سبحانه وتعالى أن يوافي الإنسان أو العبد ربه يوم القيامة وقد جمع أبواب الخير، أو أبواباً كثيرة من الخير، أنا أقول احرص على ألا تلقى الله يوم القيامة قبل أن تكون قد عبدته بكظم الغيظ، لكن كظم الغيظ لو مثل الرواية الأخرى: "ما من جرعة أحبه إلى الله من جرعة غيظ يكظمها الإنسان" أو كما رويها النبي ﷺ، هذا كظم الغيظ بعد ما تغتاظ، تعرف الغيظ يدل حتى على أن طبيعة التصرف أو طبيعة الشيء الذي أدى هو الشيء كبير؛ لأنه يعني قد يغضب الانسان بشيء يسير هذا أمر عادي، لكن الغيظ هذا الذي يحصل للإنسان كثيراً ما يحصل بأسباب شديدة، فنحن نقول: إذا ما كان الإنسان قادرًا على أن يكون دائمًا كاظمًا للغيظ

فلا أقلّ من أن يفعلها مرة في حياته يلقى الله بها، لكن هذا لا يكون إلا بقرار تعمله اختيارًا، كظم الغيظ ما فيه إلا تجرّع، لا تحسب أن كظم الغيظ أنه: كن إيجابيًا، وكن سعيدًا، وانظر إلى نصف الكوب، وستستطيع أن تكظم غيظك، كلا؛ لأنه كل الكلام والفلسفة هذه والإنسان مستريح يفعلها، لكن لما يأتي الغيظ الحقيقي هناك لا يفيدك شيء، هناك تأخذ نصف الكأس الممتلئ وتصب الماء، وتضربه في رأسه وتقول له: هذا التصرف الطبيعي، هذا الغيظ الحقيقي، تنسى كل القواعد هذه، لكن لما تذكر أنها من أعظم ما توافي الله به من الأعمال الصالحة، والغيظ من أشد المشاعر التي يمكن أن تجبر الإنسان على الفعل وتطيش عقله، فهناك كذا أنت تحتسب عند الله سبحانه وتعالى أن تلقى الله بعمل مثل هذا؛ لأنه من أعمال صالحة جدًا، فلازم تتجرع.

يعني تعرف أن كظم الغيظ لا يكون بلا ألم، اذهب إلى أشد دواء مرارةً سمعت به وذقته، فلما تتجرع الشيء المرّ لشدة المرض الذي بك ولكنك تتحمل، تأخذ لك خمسة عشر ثانية أو عشرين ثانية كل عضلات وجهك تنشد من المرارة التي تجرعتها، ولكنك تقول: الحمد لله، مضطر ومجبر، فكظم الغيظ فيه جرعة مرارة، هذه كم تأخذها؟ دقيقتين، خمس دقائق، لازم تتجرعها، لا تحسب أن جرعة الغيظ أنك تأخذ نفس ثم تحس أنه تبددت المشاكل بأنك عملت استرخاء، كلا، فكظم الغيظ هذا الذي كان تقدر الآن تنتقم، يعني حتى في الرواية التي في حديث معاذ بن أنس "وهو قادر على أن ينفذه"، أما إذا ما كنت قادر على أن تنفذه هذا أشبه شيء بما استعاذ منه النبي ﷺ؛ وهو قهر الرجال، لما تُظلم وتُقهر، ولا تستطيع أن تعمل شيء، هنا قهر رجال، لكن كظم الغيظ المقصود هو أنت قادر على أن تُنفذه، هذا يصير بين الآباء والأولاد، بين الرجل وزوجته، بين هذا أغلب ما يكون في أمور الخلطة، مدير ومرؤوسه، معلم وطلابه، مثلاً أمير صالح وأتباعه، هذه تصير فيها قضية كظم الغيظ، فالشاهد أن هذا باب من أبواب العبادة العظيمة التي ينبغي على الإنسان أن يتقرب إلى الله بعملها ويعفو، وفقط باب جميل للبحث والتتبّع، وهو تتبع قصص كاظمي الغيظ، يعني العلماء يعتنون بها، فيذكرون حتى أظن لو فتحتم بعض كتب التفسير عند قوله: ﴿الكظمين الغيظ﴾ أظن بعضهم يتوسع بذكر شيء من هذا، وابحثوا عنها تجدوا بعض القصص المذكورة عن الأولين في كظم الغيظ جميلة، وحتى هذه الآية تحديدًا تليت على -نسيت من هو- الذي كان حصلت له إساءة من جاريته أو من عبده، فتُليت عليه

الآية فكان كل مرة يقف إلى أن قالوا: ﴿العافين عن الناس﴾، ثم قالوا: ﴿والله يحب المحسنين﴾ فأعتقها من بعد الإساءة، فهذه أمور مهمة جداً، والنبي ﷺ كم وكم تعرض لمواقف وهو قادر على أن ينتقم، ولكنه كان يكظم غيظه ﷺ ويعفو، وهذا كثير، وفي موقف مثلًا لما كان نائمًا تحت شجرة والصحابة كانوا في السفر، كانوا نائمين كلهم، فجاء رجل بيده السيف صلتا، فقال: يا محمد، من يمنعك مني؟ فاستيقظ النبي ﷺ والسيف في وجهه، فقال: الله يمنعني، فسقط السيف من يديه، فلم يفعل له النبي ﷺ شيئًا وعفى عنه، والذي جرّه من رداء، –وهذه كانت عجيبة– فتبسم وأمر له النبي ﷺ بعطاء، وبالمناسبة حتى اليهودية التي سمّت النبي ﷺ في البداية عفى عنها إلى أن مات البراء بن بشر أو بشر بن البراء بن معرور فقتلها به، وإلا في البداية عفى عنها ﷺ، مع أنها سمَّت الشاة وأرادت قتلهم، فلا تسألني عن عفو النبي ﷺ.

نُبئـت أن رســـول الله أوعـدني والعفو عنـد رســـول الله مـأمولُ

اللهم صلِّ وسلم على عبدك ورسولك محمد، فهذا باب عظيم في عفو النبي ﷺ، وفي البخاري قالت عائشة: "ما انتقم رسول الله لنفسه قط، وما ضرب بيده امرأة ولا خادمًا ولا عبدًا إلا أن يجاهد في سبيل الله"، هذا ضرب اليد عند النبي ﷺ، أما غير ذلك إلا يجاهد في سبيل الله.

نسأل الله أن يُصلِّي ويُسلِّم على عبده ورسوله محمد، وأن يحشرنا في زمرته وأن يعفو عنا، وأن يتقبل منكم صالح الأعمال، وأن يُكفِّر عنَّا سيئاتنا.

سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلامٌ على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.